مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 2 / ديسمبر 2022
ص ص 97–108

ظاهرة التنغيم ودورها المعنوي في توجيه الدلالة - نماذج مختارة من القرآن الكريم-

The Phenomenon of Intonation and Its Moral Role in Directing the Meaning - Selected Models from the Holy Qur'an

نورالدين بوزناشة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة / الجزائر،مخبر معجم المصطلحات البلاغية،
nourbouza@yahoo.fr

الاستلام: 2022/09/27 القبول: 2022/11/25 النشر: 2022/12/31

ملخص:

تتسم اللغة العربية بجملة من الظواهر الفنولوجية التي تؤثر على المعنى؛ إذ توجه دلالة المنطوق؛ انطلاقا من تلك المسحات الصوتية المصاحبة له؛ ومن ذلك ظاهرة التنغيم التي تعتري المنطوق؛ فتكسبه دلالة ما؛ وهي ليست جزءا من التركيب أو بنيته؛ وإنما تكسوه؛ وتؤدي وظيفة (فنولوجية ونحوية ودلالية)؛ ومن ثمة يهدف هذا المقال إلى إبراز الدور المعنوي الذي يؤديه التنغيم في توجية الدلالة ؛ وقد حاولت الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الدور المعنوي للتنغيم ؟.

في سبيل الإجابة عنه؛ اتبعت الخطوات الآتية: بدأت بمقدمة؛ ثم تحديد مفهوم التنغيم؛ وبيان أقسامه؛ ثم عرض أمثلة؛ مع ذكر نتائج.، ومن النتائج: أن التنغيم يسهم في تنميط الجمل، وتوجيه دلالة المنطوق.

الكلمات المفتاحية : تطريز، تنغيم، صوتية، نحوية، دلالية.

Abstract:

The Arabic language is characterized by a number of phenological phenomena that affect meaning; It directs the operative signification; Judging from those accompanying audio smears; This includes the phenomenon of intonation that affects the operative; You give it a meaning; It is not part of the installation or its structure; but to cover it; It performs a function (phenological, grammatical and semantic); Hence, this article aims to clarify the moral role of intonation in directing the significance; I have tried to answer the following main question: What is the moral role of intonation?

In order to answer it; I followed the following steps: I started with an introduction; Then define the concept of toning; explaining its divisions; Then show examples; With results stated.

Among the results: intonation contributes to the stereotyping of sentences, and directing the meaning of the operative

Keywords: Embroidery, intonation, phonetic ,grammatical, semantic

1.مقدمة:

يتميز الكلام العربي بوجود ظواهر تطريزية فنولوجية لها تأثير على صعيد التركيب؛ وهي ليست من بنية التركيب ؛ بل تكسوه وتلازمه؛ فهي تلونات صوتيه لها وظائف: صوتية،ونحوية ودلالية؛ ومن ذلك التنغيم .

يعد التنغيم ظاهرة فنولوجية مهمة في الكلام العربي؛ فهو يلف المنطوق العربي؛ فتتولد معاني ودلالات جديدة؛ بحسب نطق ذلك التنغيم أو الوقفات؛ أي السكتات؛ إذ يفهم من الكلام أو الجملة مثلا؛ التهديد أو الوعيد أو الإغراء أو الإخبار بحسب الآداء النغمي ومقصد المتكلم.

يعالج هذا المقال الإشكالية الآتية:

ما الدور المعنوي الذي يؤديه التنغيم؟ وما تأثيره في الكلام العربي عامة، وفي القرآن الكريم خاصة؟.

ينطلق المقال من فرضية أن التنغيم ظاهرة سياقية تسهم في توجيه دلالة الخطاب القرآني خاصة، والكلام العربي عامة.

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

"التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق "،(مقال)،ليلى سهل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2010، ركزت في هذا المقال على بيان ماهيته وخواصه، وأنماطه في العربية، ودوره في المعنى.

أما الجوانب التي ذكرت في المقال؛ فقد تقاطعت معها خاصة ما تعلق بتعريف التنغيم، وبيان أنماطه ؛ بينما اختلفت عنها -من حيث الهدف- وذلك بالتركيز على الجانب المعنوي السياقي للتغنيم، وكذا تحليل نماذج من الخطاب القرآني والكلام العربي؛ قصد بيان التوجيه الدلالي لهذه الظاهرة التي تحف التركيب؛فتتولد معاني جديدة، ومن ثمة؛ تختلف هذه الدراسات عن سابقتها؛ من حيث التمثيل والتحليل لنماذج تنغيمية؛ تدلل على أهمية وقيمة هذه الظاهرة التطريزية التي لها أثرها في توجيه دلالة المنطوق؛ انطلاقا من الآداء التنغيمي وتتبع السياق.

أما مجال البحث أو العينات ؛ في هذا المقال فهي واسعة تختلف عن الدراسة السابقة من زواية تحليل نماذج قرآنية و من كلام العرب؛ أي: من ناحية التطبيق والتحليل.

أشير إلى أنني اعتمدت المنهج الوصفي موظفا آلية التحليل في تحليل النماذج .

أما فيما يخص الإستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة السابقة؛ فقد وقفت على بيان مدلول التنغيم، وأنماطه، وآثاره، بينما نسعى في هذا المقال إلى بيان أثره المعنوي في الخطاب القرآني خاصة والكلام العربي عامة؛ وذلك ببيان أثره في توجيه دلالات التركيب استنادا إلى طريقة الآداء التنغيمي، والسياق النغمي؛ ومن هنا تبرز جدية هذا الموضوع من الناحية التطبيقية الإجرائية التي تعرض لنماذج خطابية؛ تدل على أثره ووظيفيته دون الاكتفاء بالتنظير؛ حتى تأخذ هذه الظاهرة حجمها المناسب في الدرس الصوتي العربي.

2. مفهوم التطريز:

استخدم هذا المصطلح تمام حسان؛ إذ جعله مقابلا للفظ الأجنبي(Prosodic Features)؛ (حسان، مناهج البحث في اللغة، 1986، صفحة 141) ، والذي تبناه **فيرث**(firth) -رائد المدرسة الانجليزية- ويعني: بها تلك:" المسحات الصوتية أو التلوينات التي تكسو المنطوق كلّه" (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 498) .

أو : هي :" تلك التلوينات الصوتية أو الملامح الصوتية التي تصاحبُ المنطوق لتُعطيه معنى ما؛ يفهم من السياق الكلامي، وهذه الظواهر يمكن لدارس اللغة أن يتوقف عندها في مستويات متعددة؛ منها المستوى الصوتي؛ ومنها المستوى الإدراكي؛ ومنها المستوى الوظيفي؛ ففي المستوى الصوتي يتناول الدارس كيفية نطق هذه الظاهرة التطريزية من تنغيم،ونبر، ووقف، كيف نطق؟،وكيف كانت هذه الظاهرة أفي بداية الكلام؟ أم في وسطه؟ أم في آخره؟ وفي المستوى الإدراكي؛ يتناول الدارس ماذا فهم من هذه الظاهرة التطريزية،وما المعنى الذي حملته؟ فإن كانت تنغيما مثلا؛ ما المراد منها؛ أهي للتوضيح؟ أم الإغراء؟ أم التعجب؟ أم التهديد؟ ، وأما في المستوى الوظيفي؛ فيتناول الدارس ماذا أحدثت من تأثير في المتلقي؟ (بوراس، 2017، صفحة 8)،

وقد أرسى فيرث انطلاقا من هذا التصور معالم قسم مهم من الفنولوجيا ألا وهو: الفنولوجيا التطريزية.

نشير إلى أن تداول مصطلح التطريز هو من قبيل التشبيه بالسمات التطريزية أو الزخرفية، التي تكون في القماش أو الثوب؛ فتكسبه جودة ودقة وتجعله أكثر قبولا؛ فالقماش أو الثوب يكون غالي الثمن جيدا أو ممتازا، لكنه إذا وقع في يد غير ماهرة لا تتقن فن الحكاية؛ من حيث القطع، والتفصيل، ومراعاة التناسق؛ فإنّها تفسد رونقه، ولا تفي بحق جودة القماش أو الثوب؛ بخلاف لو كان الثوب أو القماش عاديا رخيص الثمن، فلو وقع في يد ماهرة تحسن القطع، والتفصيل، والتنسيق بين أبعاده؛ فتمنحه بهاء، ورونقا، ومنظرا حسنا (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 498)،وكذلك الظواهر التطريزية في الكلام المنطوق أو سلسلة الكلام المتصل والمنطوق؛ تحسنه وتجوده؛ من ناحية الآداء؛بفعل تلك التنوعات والتغيرات،كما تكسبه معاني ودلالات جديدة، ويطلق على هذه الظواهر التطريزية عدة تسميات منها: فونيمات ثانوية، أو فونيمات التركيبية، أو فوق القطعية (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 531)

1.2. مفهوم التنغيم:

يعرف بأنه: موسيقى الكلام (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 533) ،أو هو ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام (حسان، مناهج البحث في اللغة، 1986، صفحة 198)، أو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق (حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 226)؛إذ تظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات، أو تنوعات صوتية، أو نغمات الكلام ؛ لأنّ الكلام مهما كان نوعه – لا يلقى على مستوى واحد؛ ومن ثمة فإن التنغيم؛ يعدّ قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كلّه، فهو الخاصية الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه؛ فتكسبه تلوينا موسيقيا معينا حسب مبناه ومعناه، وحسب مقاصده التعبيرية، ووفقا للسياق (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 533)؛ فهو الكل في الواحد؛ إذ ينتظم في أثناه جملة من الظواهر الصوتية (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 533)، نحو: كالنبر الذي يعدّ عاملا مهما من عوامل التنغيم ؛ بالإضافة إلى طبيعة الصوت، وهيئات التركيب، وملابساتها الخارجية المتعلقة بالمتكلم، ومقاصده.

نشير إلى أنّ التنغيم في المنطوق يقوم مقام الترقيم في الكتابة؛ وهو ما يؤكده تمام حسان بقوله:" و التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة؛غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة" (حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 226).

وهكذا؛ نجد في العربية تقنيتين تعبيريتين الأولى شفوية؛ تتمثل في: التنغيم في الآداء، والثانية؛ كتابية تتمثل في الترقيم في الكتابة.

ومن ثمة؛ فإنّ نغمات الكلام في تغيّر دائم؛ وذلك بحسب الأداء النطقي النغمي، و الموقف الكلامي ،وكذا بحسب الحالة نفسية، ومقصدية المتكلم؛ ولهذا كان التنغيم يشمل " جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة؛من تعجب،واستفهام، وسخرية ،وتأكيد وتحذير" (مالمبرج، 1984، صفحة 209)

فمثلا عندما؛ ينطق المتكلم بعبارة: محمود في البيت؛ بنغمة صوتية معينة؛ يقرر أنّ محمود موجود في البيت، وبنغمة مختلفة يسأل عن وجوده في البيت، أو قولنا:**" يا سلام"** فتفيد كل نغمة في تعبيرنا معنى انفعاليا معينا؛ كالإعجاب، أو التهويل، أو النداء، أو السخرية ، أو قولنا: **يا ولد**؛ التي قد تعني النداء أو الزجر أو المداعبة أو التشجيع، أو قولنا: **يا إلهي؛** إذ تعني : التحسر، أو الزجر، أو عدم الرضا، أو الدهشة وفقا للحالة المعينة. (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 23)؛ ولهذا نجد في الأساليب الإنشائية أنها تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخرى بحسب السياق وقرائن الأحوال ؛ ومنها طريقة تنغيم هذه الجمل والأساليب، وبناء عليه؛ فإن الجملة الواحدة قد يختلف معناها تبعا لتنوع صور نطقها وأداءها.

2.2. التنغيم في التراث العربي:

تحفل كتب التراث اللغوي العربي بجملة من الإشارات لظاهرة التنغيم ؛ خاصة عند النحاة وعلماء التجويد أو علماء الآداء الذين اعتنوا بتحقيق النطق الصحيح.

فسيبويه مثلا؛ تحدث -في باب الندبة-عن نغمة الندبة التي تبرز فيها معاني التفجع، وبها يتميز المنادى المندوب عن غيره؛ يقول:" اعلم أنّ المندوب مدعو،ولكنّه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأنّ الندبة كأنهم **يترنمون فيها**" (سيبويه، 1988، صفحة 220) والمراد من قوله (**يترنمون فيها**): يتنغمون بها؛ فإذا قال المندوب: **وزيداه ، وا خالداه، واعمراه** فإن تلك النغمة فيها إظهار للتفجع، والندبة ومن ثمة؛ فإنّ هذه النغمة هي تميز المنادى المندوب عن غيره من أصناف المنادى.

كما أورد ابن جني في الخصائص إشارات دالة على التنغيم في العربية؛ من ذلك حديثه عن حذف الصفة في التركيب اكتفاء بدلالة الأداء النطقي عليها أو النغمة الدالة؛ نحو قول القائل: "سيرَ عليه ليلٌ، وهم يريدون :ليل طويل. وكأنَّ هذا إنما حذفت فيه الصفة؛ لما دلَّ من الحال على موضعها" (جني، 1999، صفحة 373).

يضاف إلى ذلك حديث ابن جني عن دلالات نغمية متعلقة بالتطويح،والتطريح، والتفخيم، والتعظيم، وقيمها الدلالية الإضافية التي تستفاد من الآداء النغمي ؛ يقول :" في مدح إنسان والثناء عليه؛ فتقول :كان والله رجلًا؛ فتزيد في قوة اللفظ بـ**"الله** "هذه الكلمة،

وتتمكَّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها، وعليها؛أي :رجلًا فاضلًا، أو شجاعًا، أو كريمًا أو نحو ذلك .وكذلك تقول :سألناه فوجدناه إنسانًا؛ وتمكّن الصوت بإنسان وتفخَّمه؛ فتستغني بذلك عن وصفه بقولك :إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك" (جني، الخصائص، 1999، صفحة 373)

وبناء عليه؛ فإن نغمة التطويح، والتمطيط، وإطالة الصوت التي طرز بها التركيب أغنت عن ذكر الصفة، وقامت مقامها؛ ومن ثمة فإنّ لهذه الظواهر التطريزية المتعلقة بالآداء الصوتي قيما دلالية إضافية؛ تبرز في السياق النغمي للمنطوق.

وهكذا؛ نلحظ أن علمائنا كانوا على دراية بهذه الظاهرة الصوتية الفنولوجية التي تسهم في توجيه دلالة المنطوق.

1.3.وظائف التنغيم:

إن للتنغيم أهمية كبرى في التحليل اللغوي؛ فهو يؤدي جملة من الوظائف نذكر منها: (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 23)

ـــ **أصواتية:** تتمثل في النسق الأصواتي الذي يستنبط منه التنغيم (حسان، مناهج البحث في اللغة، 1986، صفحة 198)، كذلك أنّ له قيما صوتية خاصة تدل على الأوضاع الاجتماعية للمتكلمين (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 23).

_ **النحوية**؛ وهي الوظيفة الرئيسة للتنغيم (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 539)؛ وتعد أهم تلك الوظائف ؛ وتتجلى في التفريق والتمييز بين أنماط التركيب، وأجناس الجمل؛ من إثباتية واستفهامية وتعجبية،... كتحديد الإثبات والنفي في بعض الجمل التي لا تستعمل فيها أداة الاستفهام؛ مثلا تقول لمن يكلمك ولا تراه : "أنت محمد"، مقررا أو مستفهما؛ وذلك تبعا للنغمة الصوتية (حسان، مناهج البحث في اللغة، 1986، صفحة 198).

و عليه؛ فإن الوظيفة النحوية للتنغيم تكمن في التفريق بين أنماط الجمل (الخبرية و الإنشائية منها)، وكذا بيان مواقع الكلمات داخل الجملة، وبيان معانيها، وتحديد ما يطرأ عليها، كحذف أداة أو غيرها مثل: حذف أداة الاستفهام، أو النداء، أو أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه، أو غير مكتمل؛ نحو الجملة الشرطية: إن تأت؛ تلقى ما يسعدك؛ إذ تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام، فتمامه يكون من خلال جواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة دليلا على الاكتمال في المبنى والمعنى معا (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 541).

_ دلالية سياقية؛ إذ إن اختلاف النغمات يحيل إلى اختلاف المعاني؛ نحو: قولنا: **يا ولد**؛ كأن يكون المعنى النداء أو الزجر... تبعا للنغمة؛ ومن ثمة فإنّ الوظيفة دلالية ؛ نلمحها في اختلاف علو الصوت وانخفاضه، وفي اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في النموذج التنغيمي؛ كل ذلك مرتبط بالسياق، ومقصد المتكلم.

ـــ نفسية؛ إذ يكشف الأداء التنغيمي عن الحالة النفسية للمتكلم؛ إن كان غاضبا أو حزينا فرحا سعيدا... وغيرها من الانفعالات؛ ذلك أنّ المنطوق تلفه شحنات إيقاعية تدل

على الأحوال النفسية والانفعالية للمتكلم؛ مثلا: الشخص الغاضب تكون نغمة كلامه صاعدة؛ بخلاف الإنسان الهادي الذي تكون نغمة كلامه هابطة؛ والأمر نفسه نجده في صوت الإنسان المريض الذي تدل نغمته الهابطة على الأنين والمرض.

_ تعبيرية: وهذا عن طريق الإفصاح عن معاني المتكلم ومقاصده؛ (أي: خلجات نفسه)؛ نحو: التواصل، التحذير، الإثباث، الإفهام، الإقناع...

إجمالا نقول؛ إنّ التنغيم له وظيفية أساسية في الكلام من خلال التمييز بين أنماط الجمل والمعاني والدلالات،وكذا بيان الحالات النفسية للمتكلم؛ مما يجعل الكلام المنطوق المنغم يصبغ بصيغة إيقاعية موسيقية يتفاعل معها المتلقي؛ وهذا ما يميز المنطوق عن المكتوب.

2.3 أنواع النغمات:

ينقسم التنغيم باعتبار نوع النغمة التي ينتهي بها الكلام؛ (نهايته) إلى : (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 537)

_النغمة الصاعدة: سميت بهذا الاسم، لصعود في نهايتها؛ إذ توجد درجة منخفضة في مقطع أو أكثر؛تليها درجة أكثر علوا منها؛ نحو: الجمل الاستفهامية التي يكون جوابها بلا أو نعم؛ نحو: **زيد في البيت؟**، أو الجمل المعلقة غير التامة؛ كالجمل الشرطية؛ **إذا جيت**؛أو **إذا اجتهدت**.

_النغمة الهابطة : سميت بذلك؛ لاتصاف نهايتها بالهبوط؛ حيث نلحظ درجة عالية في مقطع أو أكثر؛ تليها درجة أكثر انخفاضا؛ نحو: الجملة الطلبية؛ **اخرج من البيت**، الجمل التقريرية؛ محمود في الدار، جواب الشرط، الاستفهام الذي لا يستوجب جواب بنعم أو لا، الدعاء والتضرع.

النغمة المستوية أو الثابتة المستقرة: وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة (متماثلة)؛ وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة؛ ومن ثمة؛ يصير لدينا ثلاثة صور للنغمة المستوية: النغمة المستوية السفلى(منخفضة)، _النغمة المستوية المتوسطة،_ النغمة المستوية العليا.

4. نماذج التنغيم في كلام العرب والقرآن الكريم:

يؤدي التنغيم دورا بارزا في تصنيف الجمل إلى أنماط مختلفة؛ من إثباتية واستفهامية وتعجبيه؛ ويمكن الاستشهاد على ذلك بما ورد في كلام العرب بصفة عامة، والقرآن بصفة خاصة؛ ومنه؛ دلالة التنغيم على الاستفهام والنداء في الجملة التي تكون أدوات الاستفهام والنداء محذوفة فيها؛ مثلا؛ الدلالة على معنى الجملة استفهامية من غير ذكر لأداة الاستفهام اكتفاء بالاستفهام التنغيمي، وفي هذا السياق نستحضر قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة الذي حدف فيه هذه الأداة من دون أن يقع لبس؛ أو توهم ؛يقول: (ربيعة، 1996، صفحة 73)

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا

عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَا والتُّرَابِ

دلت النغمة الصاعدة في مقاطع كلمة **تحبها**؛ على الاستفهام ؛ وهذا التنغيم أغنى عن ذكر أداة الاستفهام، فحذفت الأداة، وبقي معنى الاستفهام في هذا البيت. و بناء عليه؛ فإنّ العامل الفاعل في الحكم على أنّ جملة" **تحبها**"

جملة استفهامية هو التنغيم؛ إذ جاءت في صورة نغمة صاعدة دليلا على أنّ المراد الاستفهام (من غير ذكر للأداة). (الهنساوي، 2005، صفحة 544).

والأمر نفسه في قوله(عمر بن أبي ربيعة)؛ وهو يتحدث عن محبوبته؛ التي أسرت قلبه ؛حتى إنها طيرت عقله؛ فما صار يعرف عدا وحسابا،بل إنه يعرف العد؛ و لكنه حينما شاهدها؛ كان ذلك أعظم وقعا عليه،خاصة في عبادة الحج التي هي من أجل العبادات ،فما عاد يدري كم رمى من الحجارة سبع أو ثمان؛ يقول: (شرّاب، 2007، صفحة 234)

لعمرك ما أدري - وإن كنت داريا

- بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أم بِثَمَانِ

نلحظ في البيت استفهاما حذفت فيه أداته ، وهو ما تدل عليه النغمه التطريزية ؛ فقد قصد الشاعر أن يقول: لا أدري أبسبع رمين جمارات الحج أم رمين بثمان من الحجرات ،فحذف الألف،وجعل أم دليلا على إرادته إياه؛ (المبرد، 1994، صفحة 294) ؛أي: حذفت أداة الاستفهام لدلالة التنغيم عليها.

ومن شواهد التنغيم في كلام العرب؛ قولهم:" **لا وشفاك الله، أو لا و يرحمك الله**"؛ يفيد تنغيم الجملة الدعاء للمخاطب لا الدعاء عليه؛ إذ نجد المتكلم يتوقف بعد النفي؛ ثم يستأنف بعدها بنغمة مناسبة للدعاء؛ ولهذا وضع العلماء الواو هنا ؛لغرض أمن اللبس، والاحتراز عن سوء الفهم أو دفع توهم غير مراد (الهاشمي، 2010، صفحة 150).

كما يفيد التنغيم في كلام العرب إبراز بعض المعاني والدلالات؛ ومنها: الاختصاص؛ كقولهم: نحن -**العربَ**- أقرى الناس للضيف؛ ؛ إذ دل التنغيم الصوتي لهذه الجملة على معنى **الإختصاص** (هشام، 1994، صفحة 286).

ومن الشواهد القرآنية التي نلحظ فيها التنغيم ؛ **قوله سبحانه:**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة التحريم، الآية 1).

إنّ جملة تبتغي؛ جملة استفهامية، وتقديرها : أتبتغي بحذف الهمزة؛بمعنى ؛يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؛أتبتغي مرضاة أزواجك، دل على ذلك النغمة الهابطة التي أبانت الاستفهام فكان المعنى : معاتبة الرسول الكريم على هذا الأمر (السعدي، 2000، صفحة 872).

يدل التنغيم في بعض آيات القرآن على معنى النداء؛ خاصة إذا كانت الأداة محذوفة؛ فتعرف من السياق النغمي؛ قال تعالى: **﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا، وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ،إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(يوسف، الآية 29)**، الشاهد في كلمة **"يوسف" إذ** وقعت في موقع المنادى؛ وقد حذفت الأداة، وتقدير الكلام :" يا يوسف " (طنطاوي، 1997، صفحة 347)فكان التنغيم هو القرينة الدالة على النداء؛ إذ كانت النغمة الصاعدة بقوة (في كلمة **يوسف**) دالة على المحذوف (الهنساوي، 2005، صفحة 240)؛ فأغنت عن ذكر الأداة.

وهذا التنغيم يكثر وروده في مواضع عديدة من القرآن الكريم؛ حيث يكون قرينة دالة على معاني ودلالات؛ منها:قوله تعالى**﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ، مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(يوسف الآية 75)**.

نجد في الآية الكريمة تكرار لكلمة **"جَزَاؤُهُ"** مرتين: _**قَالُوا جَزَاؤُهُ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ**، فدلّ التنغيم في الجملة الأولى على الاستفهام من قبل إخوة يوسف (البهنساوي، 2005، صفحة 240)، ولهذا كانت النغمة صاعدة، وفي الثانية دلّ على التقرير؛ أي: إقرار الجزاء عليه (عاشور، 1984، صفحة 30)؛ فكانت النغمة هابطة.

وكذلك قوله تعالى**﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾(الإنسان، الآية 1)**؛ إن الحرف "هل" ورد؛ بمعنى:" قد"؛ أي : (قد أتى حين من الدهر ...) (طنطاوي، 1997، صفحة 213)،ومن ثمة فإن الجملة تقريرية؛ وليست استفهامية؛ يدل على ذلك الهيكل التنغيمي التقريري لها؛ إذ برزت فيه النغمة الهابطة الدالة على التقرير.

ومن الشواهد القرآنية التي نلمح فيها أثر التنغيم من الناحية المعنوية**؛ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾**، **(سورة المرسلات ، الآية 16)** و**﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾** (سورة طه، الآية 120)؛ ففي الآية الأولى دلّ التنغيم الاستفهامي على التقرير ؛ وذلك ببيان سوء عاقبة المشركين وهلاكهم (عاشور، 1984، صفحة 428) ؛ وفي الآية الثانية دل التنغيم الاستفهامي على الإغراء والعرض؛ أي: إغراء إبليس لآدم بمعرفة شجرة الخلد؛ والملك الذي لا يبلى ولا يفنى (عاشور، 1984، صفحة 207)؛ وذلك قصد غوايته .

من الشواهد القرآنية التي يبرز فيها دور التنغيم من الجانب المعنوي؛ قوله تعالى: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (سورة الشرح، الآية 1)؛** أفادت النغمة الصاعدة في **" ألم"** التقرير أي:" تقرير مقصود به التذكير؛ لأجل أن يراعي هذه المنة عند ما يخالجه(الرسول) ضيق صدر مما يلقاه من أذى قوم يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار" (عاشور، 1984، صفحة 408)؛ وبذلك أفاد التنغيم التقرير، وبهذا يكون الاستفهام قد خرج من معناه الأصلي إلى هذا المعنى الأخير.

وقوله تعالى : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (سورة ص، الآية 3)

الشاهد في الآية **"كم "**الدالة على الإخبار؛ ولهذا كانت النغمة هابطة؛ ومن ثمة فإن "كم" لم تفد الاستفهام؛ وإنما الإخبار (عاشور، 1984، صفحة 207)؛ وبذلك يكون الاستفهام قد خرج من معناه الأصلي إلى معنى آخر.

ومن هذا القبيل قوله تعالى : **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (سورة الدخان، الآية 25).** فدلت النغمة الصاعدة في كم على الإخبار عن قوم الهالكين؛ الذين تركوا الجنات والعيون ؛ وهذا الإخبار مسوق لأخذ العبرة بعواقب الظالمين المجرمين (عاشور، 1984، صفحة 301).

ومن شواهد التنغيم في القرآن الكريم ما نجده في قوله تعالى: **﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (سورة النساء، الآية 3).**

الشاهد في الآية ورود النغمة الصاعدة في كلمة " فانكحوا" ؛ وقد دلت على إباحة التعدد والنكاح؛ فالأمر هنا حمل على الإباحة بدليل تنغيم جملة " ما طاب لكم" (عاشور، 1984، صفحة 224)؛ وعليه؛ فإن التنغيم في أسلوب الأمر؛ خرج فيه هذا الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الإباحة.

وقوله تعالى﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة، الآية 91)

دلت النغمة الصاعدة في "هل " لا على الاستفهام، وإنما على الأمر (عاشور، 1984، صفحة 345)؛ انطلاقا من دلالة تنغيم الآية برمتها؛ فالاستفهام هنا؛ خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الأمر؛ أي:" انتهوا".

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (سورة الصافات ، الآية 125)

نلحظ في هذه الآية النغمة الصاعدة في **(أتدعون)؛** أفاد هذا التنغيم التوبيخ عن دعوة غير الله إلها، وهو أحسن الخالقين؛ إذ إنهم عبدوا ودعوا بعلا و تركوا عبادة الربّ المتصف بأحسن الصفات وأكملها؛ فكأنه قال: أتدعون صنما بشعا جمع عنصري الضعف و وهن المخلوقية وقبح الصورة، وتتركون من له الكمال؛ إذ له صفة الخالقية والصفات الحسنى ؛ وهذا دليل على سفاهة عقول المشركين كيف يدعون الناقص في الأوصاف ويتركون من له الكمال والقدرة (عاشور، 1984، صفحة 167)؛ ومن ثمة ؛ فإن تنغيم الاستفهام في الآية أفاد التوبيخ ؛ وبذلك يكون الاستفهام قد خرج من معناه الأصلي إلى معنى آخر.

ومن هذا القبيل ؛ قوله تعالى **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (سورة ص، الآية 7)**

أفاد تنغيم الآية الاستفهام الإنكاري ؛ والذي نلحظه في قوله**(أجعل)**؛ إذ إن الكفار ينكرون وجود إله واحد؛ فهم كانوا يعبدون ألهة عديدة؛ وعليه؛ فأول أمارة دالة على كفرهم: إشراكهم بالله؛ (عاشور، 1984، صفحة 210) ،ومن ثمة فإن النغمة الصاعدة للاستفهام بالهمزة دلت على الإنكار.

ومن شواهد التنغيم القرآنية ؛ ما نجده في قوله تعالى**﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 286).**

نقف في هذه الآية عند النغمات التي نجدها في قوله (**ربنا لا تؤاخذنا/ لا تحمل علينا/ لا تحملنا / اعف عنا/ اغفر لنا/ ارحمنا/ انصرنا)**؛ فهي تفيد الدعاء والتضرع إلى الله –سبحانه- من قبل المؤمنين (عاشور، 1984، صفحة 141)؛ وذلك بتكرار قولهم ربنا؛ ثم دعوتهم بأن لا يواخذهم في نسياهم، ولا يحملهم مالا يطيقونه، ولا يستطعون القيام به، وأن يعف عنهم، ويغفر لهم، ويرحمهم وينصرهم، وبذلك أفاد التنغيم بيان خروج النهي والأمر إلى معنى الدعاء.

ومن الشواهد القرآنية التي نلحظ فيها أثر التنغيم؛ قوله سبحانه:

﴿يوم يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ (سورة النبأ، الآية 40)

تبين الآية الكريمة حال الكافر المنكر للبعث يوم القيامة؛ فيتمنى أن يصير من جنس التراب؛أي "يتمنى الكافر أنه لم يخلق من الأحياء، فضلا عن أصحاب العقول المكلفين بالشرائع؛ أي يتمنى أن يكون غير مدرك ولا محس؛ بأن يكون أقل شيء مما لا إدراك له وهو التراب، وذلك تلهف وتندم على ما قدمت يداه من الكفر" (عاشور، 1984، صفحة 58).

وعليه؛ فقد دلت النغمة الهابطة في النداء (ياليتني) على التمني والتحسر؛ فخرج بذلك النداء من معناه الأصلي إلى معنى التحسر.

يبرز التنغيم في مواضع أخرى من القرآن الكريم نذكر منها:

_**﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية 21)**

الشاهد في (لقد)؛ فأفاد تنغيم هذه الآية الإخبار؛ إذ نجد الخبر اقترن بمؤكدين؛ (عاشور، 1984، صفحة 302) ،وهذا الخبر فيه بيان لفضل التأسي والاقتداء بالرسول الكريم في أقواله وأفعاله.

_**﴿ لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ﴾ (سورة يوسف، الآية 111)**

دل التنغيم في الآية على الإخبار؛ وذلك ما نلحظه في اقتران الخبر بمؤكدين؛ أي: إخبار بصدق القصص والأخبار التي فيها الاعتبار والاتعاض لكي يستفاد منها (عاشور، 1984، صفحة 71)؛ لأنّ الله سبحانه قال في بداية السورة **﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (سورة يوسف ، الآية 3)؛** فهو قصص حق بعيد عن الافتراء و حكايات البشر وخيالاتهم.

_ **﴿ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(سورة البقرة، الآيات: 1_ 5).**

جاءت النغمات في هذه الآيات دالة على الإخبار؛ وبدءا من تعظيم شأن القرآن الكريم الذي لا ريب فيه، وفيه نور للمتقين (كثير، 1999، صفحة 163)؛ ثم وصف المؤمنين الذين كان إيمانهم بالقول والعمل؛ فأمنوا بالغيب واليوم الآخر؛ فكانوا هم المهتدين والمفلحين.

_ قال تعالى : **﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾ (سورة يوسف، الآية 82)**

أي :"واسأل أهل مصر وَالْعِيرَ أصحاب الإبل الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها" (الزحيلي، 1997، صفحة 40)؛ فدل التنغيم في هذه الآية على المحذوف؛ وتقديره: أهل القرية وأصحاب العير ؛ لأن القرية لاتسأل وإنما أهلها الحالون فيها، وكذلك الإبل يسأل أصحابها؛ وعليه؛فقد أغنت التنغيم في الآية عن المحذوف.

وهكذا؛ نجد أن التنغيم له وظيفية تميزية دلالية في بيان معاني الآيات ودلالاتها؛ فهو يكشف عن الاتساق الصوتي والانسجام الدلالي في السورة ؛من ذلك ما نلحظه في **سورة ق؛** التي تراوحت فيها النغمات بين الصاعدة والهابطة خاصة وأنها موجهة إلى قوم مكذبين بيوم البعث والحساب، ولهذا جاء التنغيم قويا دالا على حال هؤلاء ومقالهم؛ يقول تعالى : **﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ... كَذَّبت قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ... وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ.. ونُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ... لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ... يوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ... نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾** (سورة ق، الآيات : 1_ 2 _12_19_20_22_ 42_45)

لقد رسمت هذه النغمات المتتابعة التي تضمنت أخبارا صورت حال أولئك المكذبين بيوم البعث والحساب؛ فكانت النغمات قوية منسجة مع المدلول العام للسورة الكريمة؛ حيث نلحظ فيها: تذكيرا ببدء الخلق، ومظاهر الحياة، وعقوبات الدنيا، والبعث والنشور، والجنة والنار، والثواب والعقاب (الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 1997، صفحة 277).

وإجمالا أقول؛ إن التنغيم في كلام العرب عموما وفي القرآن خصوصا له أثر في توجيه دلالة الجمل؛ انطلاقا من الآداء النغمي الذي يحف الجملة؛ فيكسبها معاني جديدة؛ ولهذا يمكن عد التنغيم في الكلام العربي والقرآن الكريم أبرز ظاهرة فنولوجية ذات تأثير على دلالة التركيب.

5. خاتمة:

نخلص مما تقدم إلى ما يلي؛

_ أن التنغيم ظاهرة فنولوجية مرتبطة بالآداء؛ من حيث ارتفاع وانخفاض الصوت أثناء النطق بالكلام.

_ كان للعلماء العرب دراية بهذا الملمح الصوتي تجلى ذلك عن طريق ذكر مصطلحات دالة عليه؛ نحو تمطيط الصوت، التفخيم...

_ يؤدي التنغيم عدة وظائف صوتية ونحوية ودلالية.

_ يعد التنغيم ملمحا صوتيا بارزا في كلام العرب؛ إذ يسهم في بيان المعاني والدلالات عن طريق تتبع الهيكل النغمي للكلام وسياقه.

_ إنّ للتنغيم وظيفة إمتاعية وإقناعية؛ من حيث شد انتباه السامع وإفهامه.

_ يسهم في تنميط الجمل إلى أجناسها النحوية، وبيان دلالتها المختلفة(الاستفهامية، الإثباتية...)

_ يساعد على بيان دلالة الجمل والتركيب في الكلام العربي والقرآن الكريم.

_له أثر على توجيه معاني الأساليب البلاغية في القرآن الكريم؛ إذ تتعدد الدلالة تبعا للتنغيم.

_ يمكن من معرفة أجزاء الجمل المحذوفة.

_ يضفي التنغيم على الخطاب القرآني ميزة الاتساق الصوتي والانسجام الدلالي.

هذا مجمل ما عالج هذا المقال الذي اكتفى بنماذج منتخبة؛ نرجوا أن تكون هناك دراسات شاملة لهذا الملمح الصوتي المهم من كل جوانبه (الصوتية ، النحوية والدلالية)

6. قائمة المراجع:

_القرآن الكريم برواية حفص.

_ابن أبي ربيعة. عمر (1996). ديوان عمر بن أبي ربيعة. دار الكتاب العربي.لبنان.

_ابن جني. عثمان. (1999). الخصائص.الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

_ابن عاشور. محمد. (1984). التحرير والتنوير: الدار التونسية . تونس.

_ابن كثير. إسماعيل. (1999). تفسير القرآن الكريم. دار طيبة. السعودية.

_ابن هشام. جمال الدين(1994). شرح شذور الذهب. دارالفكر. لبنان.

_البهنساوي. حسام . (2005). الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث. زهراء الشرق.مصر .

_المبرد. محمد (1994). المقضب.: عالم الكتب. لبنان.

_الهاشمي. أحمد (2010). جواهر البلاغة. دار ابن الجوزي. مصر.

_حسان. تمام.(1986). مناهج البحث في اللغة. دار الثقافة. المغرب.

_سيبويه. عمرو. (1988). الكتاب. مكتبة الخانجي.مصر.

_طنطاوي. محمد (1997). التفسير الوسيط. دار نهضة مصر. مصر.

_مالمبرج. بريتل. (1984). علم الأصوات. مكتبة الشباب. مصر.

بشر. كمال (2000). علم الأصوات دار غريب. مصر.

بوراس. سليمان, 2017. الظواهر التطريزية ودورها في المعنى ظاهرة التنغيم أنموذجا. مجلة الآداب واللغات . 9.ص 8.

_حسان. تمام.(1994). اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. المغرب.

_الزحيلي. وهبة . (1997). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر. سوريا.